بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين

أتحدث[1] باختصار بمناسبة وفاة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد (ع)، ولد (ع) في السنة الخامسة والتسعين بعد المئة وتوفي في آخر ذي القعدة من السنة العشرين بعد المئتين، تولى (ع) الإمامة عندما كان عمره الشريف سبع سنوات، وهذا قد يثير الغرابة في نظر بعض الناس لكن إذا عُرفت الإمامة فهذا لا يثير الاستغراب. عاصر الإمام (ع) عهد عبد الله المأمون الذي توفي في السنة الثامنة عشرة بعد المئتين، وكذلك بدايات عهد المعتصم الذي بنى مدينة سامراء وسمّاها بالعسكر، كان له عسكر قوامه عشرات الآلاف فأهل بغداد تأذوا من جيشه فأخرجهم إلى العسكر. هذا مختصر عن تاريخ حياة الإمام الجواد (ع)

أذكر رواية تروى عن الإمام الجواد (ع) وأعلّق عليها بمقدار: (عزّ المؤمن في غناه عن الناس)[2]، هذه الرواية مرسلة يعني غير مسندة، وحتى إذا لم تكن ثابتة عن الإمام فهي تشير إلى إمامة الأئمة (ع) كلِّهم، إمامة الأئمة واحدة، ظروف الأئمة (ع) وممارساتهم وأفعالهم مختلفة لكن أي إنسان عاقل باحث لمعرفة إمامتهم يجد أن لهم دعوة واحدة ووجهتهم وجهة واحدة وصراطهم واحد[3]

الآن هذه الرواية (عزّ المؤمن في غناه عن الناس) كيف نفهمها؟ وتوجد روايات كثيرة بهذا الصدد عن الأئمة (ع) كذلك، والقرآن الكريم بيّن هذا العز لأنه سمة بارزة للمؤمن فلا يكون هنالك إيمان إلاّ بالعز (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[4]

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ١ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) بحار الأنوار (٣٧٥/٧٥) نقلا عن أعلام الدين

(٣) بيّن السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤ – الإمامة**) فصل (**إمام واحد وهم عديدون**)

(٤) (المنافقون: ٨)

هذه الرواية كيف يُتعامل معها؟ هناك نمط من الأشخاص يسمعونها ويطوّفونها، يوجد هنالك أناس هكذا يفعلون، كثيرون يسمعون روايات وبطُرق مختلفة تُعرض عليهم ويطوّفونها، نحن إن شاء الله لا نكون كذلك فتنفعنا الذكرى

نمط ثانٍ من الأشخاص يسمعون هذه الرواية ويعلمون بأن الاستغناء عن الناس يُعتبر صفة بارزة من صفات المؤمن. فهم كذلك الآن يريدون أن يتثقّفوا بها وأن الاستغناء مطلوب ويدققون فيه ويفهمونه ولكن من دون أن يكون له مردود في حياتهم. فقط يكون مردوده في الأذهان، ربما تتغير بعض أفكارهم فيحصل لهم تصوّرات جديدة من دون أن تتوقع منهم أيّ موقف سواءً هم اعتقدوا بهذا أو لم يعتقدوا، لا يُفرِّق! وفي الحقيقة لا يوجد لدى هذا النمط اعتقاد لأن الاعتقاد لابد وأن يستتبع موقفاً، وإذا كان هنالك موقف لابد وأن يُعرف الشخص (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)[٥]، وهؤلاء حتى من الممكن أنهم يتكلمون ويذكرون هذه الآية كذلك

نمط ثالث يبحث عن هذه الروايات ويفكر ويريد أن يعمل بها حقيقةً ولكن لا يعرف ماذا يفعل، وكيف يستغني عن الناس؟ حياته مليئة كلها بالحاجة إلى الناس، وإذا يؤخذ من حياته الناس كيف يعيش؟ فلا يستطيع أن يعمل بالرواية

النمط الرابع يبحث ويتعقل في هذا النوع من الروايات، يبحث من خلالها عن إمامة الأئمة (ع)، فهو يعرف أنّ هنالك نجدين، طريقين طريق هدى وطريق ضلال، وأنّ الأئمة (ع) كانوا يعانون ويتبرّؤون من الطريق الآخر الذي كان ينافي طريقتهم ويضادها، فهذا النمط من الأشخاص بهذه النية يبحثون عن إمامة الأئمة (ع) ليعتقدوها وليعرفوا طريقهم وصراطهم (ع) ليسلكوه

أذكر قصة ينقلها أحد الكتّاب المعروفين عن المتوكل والذي تولى الخلافة في السنة الثانية والثلاثين بعد المئتين، يعني بعد وفاة الإمام الجواد (ع) باثنتي عشرة سنة، لكن هذه القصة ليست خاصة بالمتوكل فقط فهي

---

[٥] (التوبة: ١٠٥)

تشير إلى طريقتهم كلهم، لكن بطبيعة الحال هذا مثال بارز وواضح. طبيب – ممكن يهودي– اسمه إسرائيل بن زكريا وهذا طبيب مفضّل لدى المتوكل، شخصٌ ينقل أن هذا الطبيب مرِض فعاده المتوكل، فوضع المتوكل – وهو خليفة– يده تحت رأس الطبيب وقال لوزيره إنّ حياتي معلقة بحياة هذا فإذا مات هذا أنا أموت

وينقل أيضا أن (الرشيد قال لجبرائيل بن بختيشوع وهو حاج بمكة يا جبرائيل علمت مرتبتك عندي قال يا سيدي وكيف لا أعلم قال له دعوت لك والله في الموقف دعاء كثيرا ثم التفت إلى بني هاشم فقال عسى أنكرتم قولي له فقالوا يا سيدنا ذمي فقال نعم ولكن صلاح بدني وقوامه به وصلاح المسلمين بي فصلاحهم بصلاحه وبقائه فقالوا صدقت يا أمير المؤمنين)، حتى إذا كان هارون لا يقول ذلك فهذه حاجته

وكذلك القصور التي تبنى ووسائل الحياة ووسائل الراحة التي لا يستغنى عنها هي عبارة عن حاجات تربط الإنسان بمن صنعها. هذه هي طريقة إمامة الشهوات، بطبيعة الحال قد لا يكون شيئاً محرماً والإنسان يستطيع أن يبرّر لنفسه ويجد من يبرر له، هذه طريقة. الآن لاحظ أن حياة الإنسان مليئة بأمور تربطه –شاء أم أبى– بأناس كثيرين لا يستطيع أن يستغني عنهم، ومن الممكن أنه لا يدعو لهم لكن في نفسه يوجد خشوع وذلّ لهم. حتى إذا نفترض بأنه يلعنهم لكن هذا اللعن ليس حقيقياً وإنما لفظي لمجرد لفظ، كثيراً ما تقرأ وتسمع أنه يُقال أنت أيها المسلم لا تستطيع أن تنسج لنفسك قميصا، أنت بحاجة إلى أناس آخرين في كل شيء. هذه حاجة، ولذلك كما قلت: الشخص إذا أراد أن يستغني عن الناس لا يستطيع

نحن مقبلون على موقف الغدير، يا ليت أنك تهيئ نفسك للتعامل الجاد مع هذا الموقف الذي أعلنه رسول الله (ص) بتلك الجدِّية. تبدأ تراجع وتبحث، تبحث عن مجموعة نصوص وتتعقل ماذا يريد الإمام (ع) من هذه الرواية؟ كيف يتحقق هذا الغِنى عن الناس؟ هل مطلوب أني أستغني عن الناس؟ ثم كيف أستغني عنهم؟ وكيف يحصل الغِنى؟

إذا عرفت دعوة الإمام (ع) تعرف سنة رسول الله (ص) وكيف كان الوضع في عهده (ص)، وأن الغنى عن الناس من السمات البارزة في ذلك العهد الذي فتح لنا الطريق بتضحياتهم بجهادهم. شخص حافي لا يشعر

بالحاجة إلى حذاء، مثلا يُنقل عن سلمان الفارسي أن (رجلا قال له : ألا أبني لك بيتا تسكن فيه؟ قال: لا حاجة لي في ذلك، فمازال به الرجل حتى قال له: أنا أعرف البيت الذي يوافقك قال: فصفه لي، قال: أبني لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه، وإن أنت مددت فيه رجليك أصابهما الجدار، قال: نعم، فبنى له)[٦]، هذا هو التحرّر، هؤلاء تحرّروا واستطاعوا أن يقولوا (الله أكبر)، تحرروا واستطاعوا أن يقولوا صادقين (لبّيك اللهّم لبّيك لبّيك لا شريك لك لبّيك)، في مقابل الآن ترى شخصا خاضعا لكل شيء، ضعيف بدرجة أن المنصب يغيّر وضعه المال يغيّر وضعه. وبلا انتماء لأئمة الدنيا لا يستطيع أن يعيش! كيف يستطيع أن يقول لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك!

طريقة الأئمة (ع) وصراطهم هو الذي يحقق العز وليس فقط هذه الرواية (عزّ المؤمن..)، تريد العز؟ تريد ذلك العز الذي حصل في عهد النبي (ص)؟ عز مصعب بن عُمير الذي كان شابا مترفاً حينما كان يمشي في طرق مكة كان يُعرف بعد مدة أن مصعباً قد مر من هنا لأن أفضل أنواع الطيب كان يستعمله، وكان له أم ثرية جدا ورثت أموالا كثيرة فحينما أسلم مصعب سجنته أمه ثم سحبت منه كل شيء ولم يبقَ عليه إلا لباس كجُل إبل، فيُنقل أنه لما رآه رسول الله (ص) بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم[٧]، وبعد ذلك كان هو الذي رفع راية المسلمين في غزوة أحد واستشهد، هذا هو العز

تريد هذا العز؟ الإمام هكذا يقول (عزّ المؤمن في غناه عن الناس) فهو يمثل رسول الله (ص) ويمثل أمير المؤمنين (ع)، اربطه اربط الرواية؟ بهذا التاريخ. تريد ذلك العز؟ أم فقط تريد أن تصلي وتصوم وتكرر الحج وهذا يكفيك! تريد ذلك العز الذي هو فوق كل عز أم تريد الاعتزاز بالمال أو الاعتزاز بالارتباط بشخص له موقع، هذا النوع من الاعتزاز منتشر

---

[٦] بحار الأنوار (٢٢/٣٩٠) نقلا عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

[٧] أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥/١٧٥)

ذلك العز الذي تحقق في عهد النبي (ص)، تريده؟ (عز المؤمن في غناه عن الناس)، كيف يحصل الآن؟ هنا تشعر بمعاناة شديدة يا إلهي كم أنا مظلوم، كلما أحاول أن أجد نفسي وشخصيتي وسيادتي، (إلهي) أنت سخّرت لي ما في السماوات وما في الأرض كل شيء سخّرته لي لكنني الآن أنا مسخّر لكل شيء. كل شيء يؤثر فيّ، إلهي لا أريد هذا، أعاني أتألّم، إلهي أنقذني إلهي حرّرني، هنا تجد صوت إمامك يُجلجلُ في أذنك: انتظر! وسوف آتيك وحتى إذا لم تدركني فهذا الانتظار يُغنيك، تعيش في عالمٍ ليس عالمك، تعاني من هذا العالم، تشعر بأنّ كل شيء يريد أن يذلّك ويجعلك في الحضيض في أسفل السافلين، أنت الآن في قرارة نفسك تحرّرت، لا تريد هذا الوضع، عرفت المنكر، أنكرته (من رأى عدوانا يُعمل به ومنكرا يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلِم وبرئ)[٨]. هناك تتمنى يا ليت أن الحج يجسّد حج النبي (ص)، يا ليت هؤلاء الملايين من الناس الذين يحجّون يعرفون إمامك ويعرفون إمامة إمامك ويعرفون طريقه وصراطه، وتتمنى أن يدفعوا في هذا الاتجاه، في موقف عرفة حينما تُغفر الذنوب وهنالك من يتغيّر تغيّرا جذريا تُغفر ذنوبه السابقة والمستقبلية يا ليت أن هؤلاء تعرفهم، لابد وأنّهم عرفوا إمامك وتمسكوا به والتجؤوا إليه، تأمُل تنتظر فرجك بهم، وتؤذيك التلبيات الخاوية، لكن مع ذلك تأمل أن هنالك من يلبي كتلبية أمير المؤمنين (ع)، كتلبية مصعب، كتلبية إمامك (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك). فتبحث عن الأمل الذي به تستطيع أن تعيش، فالدنيا تعرفها وتعرف كيف تسحبك لجانبها، فالآن تعيش مع الناس لكن في قلبك أنت لا تشعر بذلّ تجاه أحد

أرجو أن يجعل الله في حديثي نفعا لي ولك بإزاء ما صرفت من وقتك العزيز والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

---

[٨] نهج البلاغة (الحكمة:٣٧٣)